مسافر يرثي نفسه

مالك بن الريب أحد المسافرين الذين استطاعوا أن يخلِّدوا ذكرهم علىٰ هذه الحياة الدنيا، وأن يسطِّروا مجدهم علىٰ صفحات التاريخ، وذلك حينما أتحف الدنيا بقصيدته الرائعة، ومرثيته الذائعة التي تطرب الإنسان، وتهز الوجدان، وقد لا نكون مبالغين إذا قلنا: إنها أعظم مرثية في الأدب العربي علىٰ الإطلاق، فتأمَّل هذه الرائعة لشاعر يرثي نفسه، ومسافرٍ يبكي حياته وقد بكىٰ وأبكىٰ.

مالك بن الريب شاعر إسلامي كان مسافراً للجهاد في سبيل الله في صحبة سعيد بن عثمان بن عفان، وحينما سار بجنده في طريق فارس، وأناخ الركب في بعض المنازل، نزل مالك للقيلولة، ولما هموا بالرَّحيل أراد أن يلبس خفه، فلسعته أفعىٰ كانت قد اندست فيه، فلما أحس بالموت أنشأ يرثي نفسه فقال:

ألاَ لَيْتَ شِعْرِي هلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً ... بِجَنبِ الغَضَا، أُزْجِي القِلاَص النَّوَاجيَا
فَلَيْتَ الغَضَا لَمْ يَقْطَعِ الرَّكْبُ عَرضَهُ ... وَلَيْتَ الغَضَا مَاشَى الركَابَ لَيَالِيَا
لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الغَضَا، لَوْ دَنَا الغَضَا ... مـزارٌ، وَلَكـنَّ الغَضَـا لَيْـسَ دَانِيَـا
أَلَمْ تَرَنِي بِعْتُ الضَّلاَلَة بِالهُدَىٰ ... وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّان غَازِيا
دَعَانِي الهَوَىٰ مِنْ أَهْلِ وُدِّي وَصُحْبَتِي ... بِـذِي الطَّبَّسَيـن، فَـالتَفَـتُّ وَرَائِيَـا
أَجَبْتُ الهَوَىٰ لَمَّا دَعَانِي بِزَفْرَةٍ ... تَقَنَّعْـتُ مِنْهَـا ـ أَنْ أُلاَمَ ـ رِدَائِيَـا
لَعَمْرِي لَئِنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي ... لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابَيْ خُرَاسَانَ نَائِيَا
فللـه درِّي يَـوْمَ أَتْـرُكُ طَـائِعًـا ... بَنـيّ بِـأَعْلَـىٰ الـرَّقْمَتَيْـنِ، وَمَـالِيَـا

وَدَرُّ الظِّبَاءِ السَّانحاتِ عَشيَّةً ... يُخَبِّرنَ أنِّي هَالِكٌ مِنْ وَرَائِيَا
وَدَرُّ كبيرَيَّ اللَّذينِ كِلاهُمَا ... عَلَيَّ شَفِيقٌ، نَاصِحٌ، قَدْ نَهَانِيَا
وَدَرُّ الهَوَىٰ مِنْ حَيْثُ يَدْعُو صِحَابَهُ ... وَدَرُّ لَجَاجَاتِي، وَدَرُّ انْتِهَائِيَا
تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ، فَلَمْ أَجِدْ ... سِوَىٰ السَيْفِ وَالرّمحِ الرُّدَيْنِيِّ بَاكِيَا
وَأَشْقَرَ خِنْذِيذٍ(١) يَجُرّ عِنَانَهُ ... إِلَىٰ المَاءِ، لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الدَّهْرُ سَاقِيَا
وَلَكِنْ بِأَطْرَافِ السمينَةِ نِسْوَةٌ ... عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ، العَشِيَّةَ، مَا بِيَا
ولَمَّا تَرَاءَتْ عِنْدَ مَرْوٍ مَنِيَّتِي ... وَحُلَّ بِهَا جِسْمِي، وَحَانَتْ وَفَاتِيَا
أَقُولُ لأَصْحَابِي ارْفَعُونِي لأَنَّني ... يَقِرّ بِعَيْنِي أَنْ سهَيْلٌ بَدَ الِيَا
فَيَا صَاحِبَي رَحْلِي! دَنَا المَوْتُ، فَانْزِلاَ ... بِرَابِيَةٍ، إِنِّي مُقِيمٌ لَيَالِيَا
أَقِيمَا عَلَيَّ اليَوْمَ، أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ ... وَلاَ تُعْجِلاَنِي قَدْ تَبَيَّنَ مَابِيَا
وَقُوما، إِذَا مَا اسْتُلَّ رُوحِي، فَهَيِّئَا ... لِيَ القَبْرَ وَالأَكْفَانَ، ثُمَّ ابْكِيَا لِيَا
وَخُطَّا بِأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ مَضْجَعِي ... وَرُدَّا عَلَىٰ عَيْنَيَّ فَضلَ رِدَائِيَا
وَلاَ تَحْسُدَانِي، بارَكَ الله فِيكُمَا ... مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ العَرْضِ أَنْ توسِعَا لِيَا
خُذَانِي، فَجُرَّانِي بِبُرْدِي إِلَيْكُمَا ... فَقَدْ كُنْتُ، قَبْلَ اليَوْمِ، صَعبًا قِيَادِيَا
فقدْ كُنْتُ عَطَّافًا، إذا الخَيْلُ أَدْبَرَتْ ... سَرِيعًا لَدَىٰ الهَيْجَا، إِلَىٰ مَنْ دَعَانِيَا
وَقَدْ كُنْتُ صَبَّارًا عَلَىٰ القِرْنِ فِي الوَغَىٰ ... ثَقِيلاً عَلَىٰ الأَعْدَاءِ، عَضْبًا لِسَانِيَا
وَطَوْرًا تَرَانِي فِي ظِلاَلٍ وَمَجْمَعٍ ... وَطَوْرًا تَرَانِي، والعِتَاقُ رِكَابِيَا
وَطَوْرًا تَرَانِي فِي رَحىً مُسْتَدِيرَةٍ ... تُخَرِّقُ أَطْرَافُ الرِّمَاحِ ثِيَابِيَا
وَقُوما عَلَىٰ بِئْرِ الشُّبَيْكِ، فَأَسمِعَا ... بِهَا الوَحْشَ وَالبِيضَ الحِسَانَ الرَوَانِيَا
بِأَنَّكُمَا خَلَّفْتُمَانِي بِقَفْرَةٍ ... تُهِيلُ عَلَيَّ الرِيحُ فِيهَا السوافيا

---

(١) الخنذيذ: الجواد الكريم الأصيل.

وَلاَ تَنْسَيَا عَهْدِي ـ خَلِيلِيّ ـ إِنَّنِي ... تَقَطَّعُ أَوْصَالِي، وَتَبْلَى عِظَامِيَا
فَلَنْ يَعْدَمَ الوِلْدَانِ بَيْتًا يُجنُّنِي ... وَلَنْ يَعْدَم المِيرَاثَ مِنّي المَوَالِيَا
يَقُولُونَ: لاَ تَبْعُدْ، وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي ... وَأَيْـنَ مَكَـانُ البُعْـدِ إِلاَّ مَكَـانِيَـا
غَدَاةَ غَدٍ، يَا لَهْفَ نَفْسِي علَىٰ غَدٍ ... إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي، وَخُلِّفتُ ثَاوِيا
وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ ... لِغَيْرِي، وَكَان المَالُ بِالأَمْسِ مَالِيَا
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَغَيَّرتِ الرَّحى ... رَحَى الحَرْب، أَوْ أَضْحت بفَلَج كما هِيَا
إِذَا القَوْمُ حلّوها جميعاً، وَأَنْزَلُوا ... لَهَا بَقَراً حُمَّ العُيُونِ، سَوَاجِيا
وَعِيْنٍ وَقَدْ كَانَ الظلاَمُ يُجنّهَا، ... يسُفْنَ[1] الخُزامى نَورَهَا وَالأقاحيا
وَهَلْ تَرَكَ العيسُ المَرَاقِيلُ بِالضّحى ... تَعَـالِيَهَـا تَعلـو المُتُـونَ القَيَـاقِيـا
إِذَا عُصَبَ[2] الرُّكْبَانُ بَينَ عُنَيْزَةٍ ... وبُولانَ، عَاجُوا المُنقيَاتِ[3] المَهَارِيَا[4]
وَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ، ... كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالَوا نعِيَّكَ بَاكِيَا
إِذَا مُتُّ فَاعْتَادِي القُبُورَ، وسَلّمي ... علَى الرَّيمِ[5]، أُسقِيتِ الغَمَامَ الغَوادِيَا
تَرَيْ جَدَثًا قَدْ جَرَّتِ الرّيحُ فَوْقَهُ ... غُبَارًا كَلَوْنِ القسطلانِي[6] هَابِيَا[7]
رَهِينَـة أَحْجَـارٍ وَتُـرْبٍ تَضَمَّنَـتْ ... قَـرَارَتُهَـا مِنِّـي العِظَـامَ البَـوَالِيَـا
فَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضتَ فَبَلِّغَنْ ... بَنِي مَالِكٍ وَالرَّيْبِ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا

---

(١) يسُفْنَ: يشممن.
(٢) عصب: اجتمع.
(٣) المنقيات: النياق السمينة.
(٤) المهاري: الواحدة مهرية: إبلٌ منسوبة إلىٰ مهرة بن حيدان من عرب اليمن.
(٥) الرَّيم: القبر.
(٦) القسطلاني: حمرة الشفق.
(٧) هابيا: منتشرًا في الجو.

وَبَلِّغ أَخِي عِمْرَان بُرْدِي وَمِئْزَرِي؛ وبَلِّغ عَجُوزِي اليَوْمَ أَنْ لاَ تَدَانِيَا
وَسَلِّم عَلىٰ شَيْخَيَّ مِنِّي كِلَيْهِمَا، وَبَلِّغْ كَثِيرًا وَابْنَ عَمِّي وَخَالِيَا
وَعَطِّل قَلُوصِي فِي الرِّكَاب، فَإِنَّهَا سَتُبْرِدُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيَا
أقلّبُ طَرْفي فَوْقَ رَحْلِي، فَلاَ أَرَى بِهِ مِنْ عُيُونِ المُؤنِسَاتِ مَرَاعِيَا
وبالرَّملِ منّي نِسْوَةٌ لَو شَهِدْنَنِي، بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَ الطَّبِيبَ المُدَاوِيَا
فَمِنْهُنَّ أُمِّي، وَابْنَتَاهَا، وَخَالَتِي، وَبَاكِيَةٌ أُخْرَىٰ تُهِيجُ البَوَاكِيَا
وَمَا كَانَ عَهْدُ الرَّمْلِ مِنِّي وَأَهله ذَمِيماً، ولاَ بِالرَّمْلِ وَدّعتُ قَالِيَا

* * *

من أخبار المسافرين (٢٤) **المصطفى يسافر إلى تبوك**

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة: ٤٢].

لا شك أيها المسافر المسلم أن أجمل الأخبار لديك ما كان من أحب الناس إليك، وأمتع القصص إلى قلبك ما سمعته من الذي هداك إلى ربك، فأبْشِر بما يسرُّك. فسافر بفؤادك، ومتِّعْ قلبك بشيء من أخبار المسافر الأعظم ﷺ الذي كان يرى أن الحياة بمجموعها ما هي إلاَّ محطّة من محطات السفر إلى ربِّ البشر «**ما أنا في الدنيا إلاَّ كراكبٍ قال ـ من القيلولة ـ تحت ظل شجرة ثم تركها**» [الصحيحة: ٤٣٨] سأحدثك عن أطهر قدمٍ مشت على وجه البسيطة، وأطهر مهجة درجت على ظهر الأرض، بأبي هو وأمِّي ﷺ.

حبيبك ﷺ سافر قبل البعثة عدة سفرات في تجارة خديجة رضي الله عنها ومع عمه أبي طالب أيضاً.

أما بعد البعثة فكانت سفراته على أربعة أضْرب كما ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ: النوع الأول: السفر للهجرة من مكة إلى المدينة.

النوع الثاني: السفر للجهاد في سبيل الله.

النوع الثالث: السفر للحج وهي حجة الوداع فقط.

النوع الرابع: السفر للعمرة.

وقد اخترت لك في هذه الوقفة أحد أسفاره للجهاد في سبيل الله وهو

سفره لغزوة تبوك فإلى هناك:

كانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع، وكان رسول الله ﷺ قلَّما يخرج في غزوة إلاَّ كنَّى عنها، وورَّىٰ بغيرها، إلاَّ ما كان في غزوة تبوك لبعد المشقة وشدة الزمان، غزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد حين طابت الثمار والظلال واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، وعدواً كثيراً فجلىٰ للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهته التي يريد، وكانت الغاية من هذه الغزوة إرهاب الدولة المجاورة التي كانت تُخَاف معرتها على مركز الإسلام والمسلمين، وعلى الدعوة الإسلامية الزاحفة وقوتها الناشئة، وكذلك إدخال الرعب في قلوب القبائل العربية التي لم تدخل في الإسلام في جزيرة العرب.

وكره المنافقون الخروج مع رسول الله ﷺ إشفاقاً من العدوِّ القوي الظاهر، وفراراً من الحر الشديد وزهادة في الجهاد، وشكّاً في الحق، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [التوبة: ٨١].

وجدَّ رسول الله ﷺ في سفره وأمر الناس بالجهاز، وحضَّ أهل الغنى على النفقة في سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنىٰ واحتسبوا، وجهز عثمان جيش العسرة وأنفق ألف دينار ودعا له رسول الله ﷺ، واستحمل رجالٌ رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة فاعتذر لهم لعدم وجود الظَّهر فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون، فرفع الله عنهم الحرج بقوله:

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩٢]

وخرج رسول الله ﷺ صباح يوم الخميس ـ وكان يحب السفر يوم الخميس ـ، في ثلاثين ألفاً من الناس، واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، وخلَّف على أهله عليَّ بن أبي طالب، فلما سار رسول الله ﷺ تخلَّف عبدالله بن أُبيّ ومن كان معه، وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب منهم، وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع وأبوخيثمة وأبوذر ثم لحقه أبوخيثمة وأبوذر.

ونزل ﷺ بـ«الحجر» ديار ثمود وأخبرهم بأنها ديار المعذبين وقال: «**لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم إلاَّ وأنتم باكون خوفاً أن يصيبكم ما أصابهم**». وقال: «**لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضؤوا منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً**» [انظر: صحيح مسلم: ٢٩٨١].

وأصبح الناس ولا ماء معهم فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا لهم، فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء.

ثم مضى رسول الله ﷺ وتلوَّم على أبي ذر بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً حتى أدرك رسول الله ﷺ. ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه صاحب «أيلة» فصالحه وأعطاه الجزية وأتاه أهل جربا وأذرُح فأعطوه الجزية وكتب لهم كتاباً.

ثم أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في خمسمائة فارس إلى أُكيدر

دُومة، فأسره خالد، وقدم به على رسول الله ﷺ فحقن دمه وصالحه على الجزية ثم خلَّىٰ سبيله.

وأقام رسول الله ﷺ بـ«تبوك» بضع عشرة ليلة ثم انصرف قافلاً إلى المدينة.

ومات عبدالله ذو البجادين في «تبوك» فشيَّعه رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمر في ظلام الليل وفي يد بعضهم مشعل يسيرون في ضوئه وقد حفروا له ونزل رسول الله ﷺ في حفرته وأبوبكر وعمر يدليانه إليه وهو يقول: «**أدنيا إليَّ أخاكما**» فدلياه إليه فلما هيأه لشقه قال: «**اللهم إني أمسيت راضياً عنه فارض عنه**». قال ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة.

وكان من بين من تخلف عن هذه الغزوة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، ولم يكن التخلف من خلقهم وعادتهم وإنما هو التسويف وضعف الإرادة، وقد صدقوا رسول الله ﷺ حين كذب الناس، وشهدوا على أنفسهم حين برأها المنافقون، فنهى رسول الله ﷺ الناس عن كلامهم فتنكرت لهم الدنيا وأعرض عنهم كل قريب وبعيد، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعدىٰ إلى أزواج هؤلاء الثلاثة فأُمِروا أن يعتزلوهن ففعلوا، وأراد ملك غسان خطب ودّ كعب بن مالك، فجاءه رسول ملك غسان، فدفع إليه كتاباً فيه: إنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك. فتثير الرسالة في كعب الغيرة وتهيج الحنان فقصد بالرسالة التنور ورمىٰ بها، ثم أنزل الله توبته عليهم وخلد ذكرهم في القرآن بعد أن ذكر توبته على سيد الأنبياء ﷺ والمهاجرين والأنصار، الذين لم يتخلفوا وذلك تكريماً لهم وجبراً

لخاطرهم ورفعاً لمكانتهم فقال: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

[التوبة: ١١٧ـ١١٨]

obeikandl.com

نظرة على الغزوات

يطيب لي أن أعقب على حديثنا عن غزوة تبوك بكلام جميل للشيخ أبي الحسن الندوي بعنوان نظرة على الغزوات في كتابه «السيرة النبوية»:

وبغزوة تبوك التي كانت في رجب سنة تسع للهجرة انتهت الغزوات النبوية، التي بلغ عددها سبعاً وعشرين غزوة، والبعوث والسرايا التي بلغ عددها ستين، ولم يكن في كلها قتال.

وقد أُريق في جميع هذه الغزوات والسرايا التي بعثها النبي ﷺ أقل دم عرف في تاريخ الحروب والغزوات، فلم تتجاوز قتلاها كلها ١٠١٨ قتيلاً من الفريقين. وكانت حاقنة لدماء لا يعلم عددها إلاَّ الله، عاصمة لنفوس وأعراض لا يحصيها إحصاء، باسطة الأمن في أرجاء الجزيرة حتى استطاعت الظعينة أن ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلاَّ الله، والمرأة من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف بعدما كانت الجزيرة كلها كفة حابل، وشبكة دقيقة من ترات وثارات، وحروب وغارات، لا تمشي فيها قوافل الحكومات الكبيرة إلاَّ بخفارة ساهرة، وذرقة ماهرة.

وكانت هذه الحروب مؤسسة على الأصلين القرآنيين الحكيمين: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ و﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، موفرة على النوع الإنساني والمجتمع البشري قدراً كبيراً من الوقت والجهد في تغيير الأحوال ودرء الأخطار، وكانت خاضعة لآداب خلقية وتعليمات رحيمة، جعلتها أشبه بعملية التأديب، منها بعملية التعذيب.

أما بالنسبة إلى نجاح العملية وسرعتها فقد استمر التوسيع بنسبة ٢٧٤ ميلاً مربعاً في ظرف عشر سنوات ولم يخسر المسلمون فيها إلاَّ بنسبة شخص واحد في الشهر، وكان أقصى خسائر العدو في النفوس ١٥٠ شخصاً فلما اكتملت السنوات العشر خضع أكثر من مليون ميل مربع للحكم الإسلامي.

وكان رسول الله ﷺ إذا ودَّع جيشاً، قال: «**أوصيكم بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين خيراً، اغزوا باسم الله، في سبيل الله، من كفر بالله، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقربوا نخلاً، ولا تقطعوا شجراً، ولا تهدموا بناءً**».

قارن ذلك بقتلى الحربين العالميتين: الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨م، والثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م، فقد ذكر الكاتب المحقق في دائرة المعارف البريطانية في هذا الموضوع أن عدد المقتولين في الحرب العالمية الأولى بلغ ستة ملايين وأربعمائة ألف نفس (٦,٤٠٠,٠٠٠) وعدد المقتولين في الحرب العالمية الثانية بين خمسة وثلاثين مليوناً وستين مليون نفس (بين ٣٥,٠٠٠,٠٠٠ و٦٠,٠٠٠,٠٠٠).

ولم تخدم هاتان الحربان ـ كما يعلم الجميع ـ مصلحة إنسانية، ولم يستفد منهما العالم البشري في قليل أو كثير.

وقد بلغ عدد ضحايا محاكم التفتيش في أوروبا في القرون الوسطى، والاضطهاد الكنسي اثني عشر مليوناً (١٢,٠٠٠,٠٠٠) نفس.